واشغالهُ في اليقظة. مثالهُ اذا كان مستيقظ الحلم صوتاً خفيفاً وكان النائم مغنّياً فيحلم بانغام عوده وتوقيع انشيده او خطيباً فبالقاء الخطب في محافل الادب او راعياً فبثناء الشاء او جندياً فبضوضاء الهيجاء. وما شاكل ذلك مما لا يُستقصى. وبقي في هذا الموضوع اشياء أخر لا ينفسح لنا المقام للكلام فيها الّا ان اكثر الاحلام اذا تأملتها بصادق النظر رأيتها لا تخرج عن حدّ ما ذُكر والله اعلم

رحلة حديثة الى بلاد عكّار

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد انجز الآباء اليسوعيون منذ عهد قريب بناء معبدٍ جميل شادوهُ في قلب بلاد عكّار ذكرًا للبتول الطاهرة التي يكرّمها الاهالون في تلك الانحاء باسم سيّدة القلعة. فدُعي حضرة رئيس مدرستنا الكليّة الاب لوسيان كاتين لحضور تدشين المزار الجديد واسعدنا الحظ على مرافقته لمشاهدة هذه الحفلة البهيجة. فانتهزنا هذه الفرصة لنعرض على قرائنا تفاصيل رحلتنا ونصف لهم شيئاً من احوال هذه الانحاء الواقع في احد أقرية ولايتنا الجليلة

*

كان سفرنا من بيروت بُعيد ظهر الخميس في ٢٦ نيسان المنصرم. وما مرّت علينا ست ساعات حتى ادركنا البترون وبتنا فيها. وفي صباح النهار التالي جلنا في انحاء تلك البلدة التي تُعدّ من اقدم مدن فينيقية وقد جاء ذكرها في القرن الخامس عشر قبل المسيح في المكاتبات المكتشفة حديثاً في الفيوم في تلّ العمارنة. وكان لها سابقاً سور منحوت في البحر يصونها من طغيان مياهه لا يزال منهُ بعض بقاياهُ ماثلة في وجه البحر وكانت البترون حصناً في سالف الأيام وبهذا الاسم ذكرها ياقوت والادريسي. ومن آثارها الرومانيّة في شرقيها مرسحها التي تُرى منهُ دوجاتهُ على شكل نصف دائرة. وكان دليلنا في زيارة البلدة جناب قنصل الدانمرك في الثغر سابقاً والجنابه الباع الطولى في معرفة العاديّات جمع منها شيئاً كثيرًا وقد وجد فيها بعض النواويس القديمة وهو اليوم

يبحث عن مدفن ايتوبعل احد ملوكها وقيل هو بانيها . وكان ايتوبعل على رأي يوسيفوس كاهناً لعشتاروت معبودة الفينيقيين

ولمّا استوت الشمس في كبد السماء ركبنا الخيل قاصدين طرابلس فسرنا وجهتنا الشرق . وتركنا على شمالنا كفّة قرية حديثة لاحقة بالبترون ثم قطعنا بعد ساعة نهر الجوز ومررنا بقرب قلعة حريزة بناها الصليبيّون على قنّة صخر مرتفع تدعى المُسيلحة جدرانها تلتحم بالصخر كأنّها هو ولا يصعد اليها الّا من شمالها بدرج صعب المرتقى . وبقرب هذه القلعة قُتل امير غزير العسّافي محمد بن منصور سنة ١٥٩٠ (راجع المشرق ٣ : ٢١٠) . ثم ترقّينا في مصاعد جبل عالٍ يمتدُّ في اعلاهُ ويدخل في البحر على شكل رأس وهو الرأس المعروف اليوم برأس الشقعة ودعاهُ الادريسيّ أنف الحجر . وفي جنبهِ الشمالي دير كبيرٌ للروم الارثوذكس يقال لهُ دير النورية نسبةً الى العذراء سيدة النور وهذا الدير حديث بُني سنة ١٨٨٠ بدلًا من دير آخر قديم كان في لحف الجبل . وللسوارنة فوق هذا الجبل دير شهير الذكر يدعى دير سيدة حنوش . ثم انحدرنا من مشارف ذلك الجبل فقطعنا الهَرَيّ قرية عامرة للصليبين فبلغنا بعد ساعة شكّا . وهي قرية تشرف على البحر كثيرة الخيرات من اقدم بلاد الله كالبترون كما يُستدلّ على ذلك بمراسلات تلّ العمارنة السابق ذكرها

ومررنا قُبيل العصر بقرية زكرون ليس بعيدًا من أنفة وانفة هذه قرية على سيف البحر اهلها من الروم الارثوذكس من اهل الثروة ابتنوا هناك لهم دورًا جميلة بعد ان تحسّنوا الاسفار الى اميركة وربحوا فيها بعض الربح

ثم بلغنا في اصيل النهار ضيعة قلمون واهلها مسلمون وهي تلحق بحكومة طرابلس مع انّ حكم جبل لبنان يمتدّ الى ما وراءها . وقلمون هذه فيها المياه الجارية والبساتين الزاهية وقد دعاها الجغرافيّ بانيوس قلاموس . وفوقها على رأس الجبل دير البَلَمند الشهير من اعظم اديرة الروم الارثوذكس . قال الدويهي في تاريخ سنة ١٢٨٧ انّ بانيهُ البرنس بوهند (Bohémond) صاحب طرابلس بناهُ كصيف يروّح فيهِ النفس وعلى هذا القول يكون اسم البَلَمند تصحيفًا لاسم بوهند . وفي تاريخ سوريّة لجرجي افندي يني (ص ٣٩٠) انهُ تصحيف « بل منت » اي الجبل الظريف . وذكر انّهُ يوجد على مائدة الهيكل في كنيستهِ تاريخ سنة ١١١٣ م فضلًا عمّا يُقال انّ في اصل الدير المذكور

كانت بقايا قصر عظيم استمرّت آثارهُ الى عهد قريب من ايامنا . وباذاء هذا الدير على قمة جبل آخر دير مار يعقوب يسكنهُ مطران طرابلس على الروم الاورثذكس وقيل لنا انَّ اعيان الروم في طرابلس يُنقلون بعد وفاتهم الى هذين الديرين فيُقبرون فيهما تبرُّكاً . ولا يبعد عن دير مار يعقوب دير كفتين وقد اشتهرت مدرستهُ مدةً

وكنَّا في اثناء مسيرنا نرى طرابلس وحصنها القديم وابنيتها الجميلة وبساتينها الفيحاء وهي تزيد بهجةً وجمالاً على قدر تقرُّبنا منها وكان منظرها يذكّرنا قول الشاعر فيها يصف خصب تربتها ومقامها الجميل مع ما يحدق بها من الجبال المكلّلة بالثلوج الغراء :

باربعة سادت وساد مقامها على سائر الامصار في البحر والبرّ
بابيض ثلج واحمرار كثيبها وخضرة برج قد جلا زرقةَ البحر

ولمَّا قربت الشمس الى المغيب وصلنا الى المدينة فنزلنا في دير حضرات الآباء العازاريين الافاضل فرحّبوا بنا كما يرحّب الاخوة باخوانهم واظهروا لنا من اللطف والأُنس ما دونهُ كلّ شكر

هذا ولطرابلس من الآثار الجليلة والمرافق العديدة ما لا يسعنا هنا وصفهُ فأَجّلنا ذلك الى فرصة أُخرى ونكتفي هذه المرّة بتدوين ما كتب المتنبي وهو القائل انَّ فيها :

اكارمُ حسد الارضَ الدماء جم وقصّرت كلّ مصر عن طرابُلُسِ

*

وفي غلس اليوم التالي قمنا من طرابلس وكان انضمَّ الينا لحضور العيد احد الآباء العازاريين حضرة الاب اوتو مع وكيلنا في البادة فسرنا على الجياد راكبين جادَّة طريق العربات المؤدية الى حمص . وكان اديم السماء صافياً والهواء ليّنا والارض تكسوها حلل الربيع السندسيَّة على شمالنا يمتدُّ البحر بزرقة ناصعة بدر اصقل من مرآة وعلى يميننا تنطح العنان جبال لبنان المعمّ بعمامة ثلوجه البيضاء

وكنَّا في سيرنا نواجه اهل تلك البلاد يتقاطرون الى طرابلس من جهات حمص وعكّار والحصن وصافيتا يبيعون فيها محصولات اراضيهم الخصبة ويستبدلونها بما هم اليه في حاجة ماسَّة من انسجة وافاريه واثاث . وكان يبهجنا منظرهم لما يلوح على وجوههم من سمات الرجولية وشارات القوة واماً لبسهم في الغالب فهو لبس اهل البادية كالكفيَّة والعقال والعباءة او المشلح . ولكثيرين السراويل الواسعة النيافق الضيّقة الارجل . ومما كان يستلفت انظارنا صرم الجبال المتتالية وكانها محنّطة بضروب صادرات البلاد قيل لنا

ان ما يدخل منها كلَّ يوم الى طرابلس فوق ٣٠٠٠ جمل ويُدفع عن كل جمل منها فرنك للتزمي طريق العربات.

وما ابتعدنا عن البلد الّا ثلثة اميال حتى بلغنا جامعاً كبيراً يُعرف بجامع البدّاوي يرتقي عهدهُ الى السلطان بيبرس. والبدّاوي احد اولياء المسلمين. وبقرب الجامع بركة واسعة بُنيت منذ سنتين تتبجّس من وسطها مياه غزيرة. وفي المياه الوف من السمك المعروف بالبوري يكرّمهُ الناس ويطعمونهُ ولا يجوز لاحد ان يصطادهُ. وذكّرنا ذلك بما رأيناهُ في اوروفا قبل ستّ سنين في رحلتنا الى بلاد ما بين النهرين. وهناك بركة تُنسب الى ابراهيم الخليل اكبر من هذه تتدفّق منها المياه وفيها من هذا السمك عددٌ لا يضمّ بهِ احصاء وهو يتقلّب في المياه منذ مئين من السنين لا يمسّهُ احد. وقد اخبر لوقيان في كتابهِ المُعنون بإلهة السوريين (١ انّ الاقدمين كانوا ابتنوا بركاً في قرب هياكل آلهتهم لاسيما عشتاروت وكان في هذه البرك عدد غفير من السمك يعظّمهُ القوم ويقرمون بنفقة طعامهِ

ثمّ سرنا حثيثاً فقطعنا بعد ساعة نهر البارد وواصلنا السير حتى بلغنا بعد ساعتين ونصف مفرقاً يتصل بطريق حمص. وهو يميل عن البحر نحو الشمال الشرقيّ فعدلنا اليهِ. ومذ ذاك الحين دخلنا في بلاد عكّار. وتخوم القضاء المذكور محدودةٌ شمالاً بقضاء الحصن وشرقاً وجنوباً بولاية الشام ومتصرفيّة لبنان وغرباً باواء طرابلس. عدد سكّانهِ يبلغ نحواً من ٣٠٠٠٠ نسمة يسكنون ١٧٤ قرية او مزرعة. وبدين نصف اهلهِ بالاسلام اما النصف الآخر فهم نصارى ونصيريّون.

والطريق التي نتهجها حسنةٌ تصلح للعجلات الى حلبا مركز القضاء. اعني في امتداد نحو ١٥ كيلومترًا. وكنّا نعجب بتربة هذه النواحي وخصب مزدرعاتها وزكاء نباتها. والمياه تجري اليها من كل جانب منحدرةً من اعالي لبنان ومتفرّقة في كل صوب. ومن جملة المزدرعات التي كانت تستلفت انظارنا الزيتون والذُرة والسمسم واصناف الحبوب. ومنها ايضاً البصل الطيّب قيل انّ اهل عكّار ينقلون منهُ الى مصر نحو القنطار (٢ فيربحون منهُ مالاً طائلاً

١) راجع Lucien : *de Dea Syra*, 45 ورحلة الاب هنري لامنس الى بلاد النُصيريّة Revue de l'Orient chrétien, IV:572 ٢) مختصر جغرافية الشام للاب هنري لامنس (مخطوط)

ومشينا نحو ساعة ونصف فبلغنا نهر عرقا وعبرنا جسرهُ المبني باحسن هندام فوق صخر يدخل في وسط مياه النهر. وعرقا هذه التي بها دُعي النهر عبارةٌ عن قرية صغيرة ليس فيها الّا طاحون وبيوت قليلة وانما كانت في قديم الزمن مدينة معتبرة تُدعى قيصارية عرقا فيها بنايات جليلة. وكانت في ايام الادريسي مدينة عامرة قال فيها: « لعرقا في وسطها حصن على قلعة عالية ولها ربض كبير وهي عامرة بالخلق كثيرة التجارات واهلها مياسير وشربهم من ماء يأتيهم في قناة مجلوبة من نهرها ونهرُها جارٍ ملاصق لها وبها بساتين كثيرة وفواكه وقصب سكّر وبها مطاحن على نهرها وبينها وبين البحر ثلثة اميال وحصنها كبير وعيش اهلها خصيب رغد وبناؤها بالجصّ والتراب والخير بها كثير ». وقد اكتُشف فيها حديثًا بعض الآثار القديمة المنبئة بعظمها سابقًا. وكان لعرقا اسقف يُعرف بها. وهي اليوم من كراسي اساقفة الموارنة وكان غبطة البطريرك الحالي اسقفًا عليها سابقًا

ولمّا اجتزنا نهر عرقا واصلنا المسير في قرار فسيح من الارض وسهول متسعة تسقيها المياه النميرة وكنّا نشاهد على يميننا من جهة الجنوب روابي عكّار يعلوها قرًى عامرة كل اهلها في سعة وخصب عيش. منها قرية منيارا واهلها نصارى روم ارثوذكس وقد اعتنق منهم قسم كبير الدين الكاثوليكي منذ بضع سنين بهمّة الآباء المرسلين

ثم سرنا نحو خمسة اميال فبلغنا حلبا وفيها مركز القضاء. وحلبا ليست اكبر قرى عكّار وانّما مقامها انسب لتدبير شؤون تلك النواحي وهي طيّبة الهواء وفوقها دار الاسقفيّة لطران عكّار على الروم الارثوذكس ويشرف عليها محلُّ تربهُ يدعى شيخ طابا يسكنهُ المتوظفون في الحكومة

قلنا انّ حلبا ليست اكبر قرى عكّار والقرى الكبرى انما هي عكّار التي بها دُعي هذا القضاء. عدد سكّانها نحو ٣٥٠٠ وهي شرقي عرقا ثمّ القبيّات وهي اكبر منها (٥٠٠٠) فيها معامل حرير مشتهرة ولحضرات الآباء الكرمليّين فيها ديرٌ ومدرسة ثمّ عندقت (١٦٠٠) واهل القبيّات وعندقت موارنة. ثم بَينو (٣٠٠٠) يسكنها اعيان عكّار ثمّ عيدمون ورماح والنهريّة تُصنع فيها الطنافس الملوّنة والسجّادات الفاخرة ثمّ شيخ محمد ليس بعيدًا من حلبا واهلها نصارى روم كاثوليك وارثوذكس وموارنة. الى غير ذلك

ولمّا قرب وقت الظهر بلغنا نهر عكّار الذي منشأهُ بقرب عكار شرقًا ويُدعى ايضًا نهر الحريّة ونهر الحسوان ومصبهُ في البحر نحو اربعة اميال شمالي نهر عرقا. فاخذنا

هناك نصيباً من الراحة الى ان خمدت الهجيرة فاستأنفنا الركوب واخذنا نصعد رُبى جبل عكّار سائرين نحو الشمال الشرقيّ . وكنّا اذا توقّينا في مشارف الجبل يكشف النظر على غياض فيحاء ورياض غنّاء ومزارع كثيرة المواشي ورساتيق يسكنها سراة البلد ممّن عهدت اليهم الحكومة السنيّة نظر تلك الضواحي وجباية اموالها . وهم سادة ذوو بأس وطَول نخصّ منهم بالذكر المير ميران محمّد باشا محمّد وهو من اسرة عريقة بالشرف ولكلّ هؤلاء السادة قرًى وضياع ينقاد اهلها لحكمهم ويشتغلون لحسابهم . ولهؤلاء الامائل الجياد المطهّمة التي يُبالَغ في اثمانها ويُتفاخر باقتنائها . واجناس الخيل الكريمة في عكار اربعة لكلّها شهرة كبيرة في بلاد الشام وهي السقلاوي والمعنقيّ والفُرَيجات والطويسي واكرمها الفريجات التي تفوز عادةً في الحلَبات وهي في الحصن اكثر منها في عكّار

*

وبينا كنّا نسرّح الانظار في هذه المشاهد اذ لاح لنا على قاب قوسَين او ادنى بناء جديد تحقق فرقةُ الرايات وقربه قد ازدحمت الجموع فبشّرنا انها هي كنيسة السيدة التي دُعينا الى حضور تدشينها ولم نكُ ندري انّ بيننا وبينها وادٍ عميق لا بُدّ من تطعه قبل ادراك الوطر . فما لبثنا ان رأينا امامنا جبلًا عالياً على شبه مثلّث زاويتاهُ العليوان في مشارف الجبل امّا الثالثة فهي تتّجه نحو الغرب كأنها الرأس المقرّن . وفي اعلى هذا الرأس بقايا قامة قديمة اليها نُسبت سيّدة القلعة وعلى جانبي هذا المثلّث الضخم واديان عميقان تترقرق في احدهما مياه « النهر الصغير » المنحدرة من الجبال المجاورة وفي الآخر تتدفق مياه « النهر الكبير » الجرّارة . وتجتمع مياه الواديين عند رأس المثلّث وتجري نحو الغرب فتصبّ في البحر المتوسّط بعد مسافة نحو ١٥ كيلومترًا . امّا رأس النهر الكبير ففي شرقي قرية عكار في وادي عودين وهو يسيل شمالًا نحو سبعة اميال حتى اذا بلغ جبل طاحون مال نحو الغرب وهو لا يزال يكبر ويزيد الى ان يصبّ في البحر . ولهذا النهر شأن عظيم وكان الاقدمون يسمّونهُ الوتاروس (Eleuthérus) وهو الذي يفصل بين جبال لبنان وجبال النصيريّة ويحدّ بلاد عكار شمالًا فيقسم قضاءها عن قضائي الحصن وصافيتا وهو غير النهر الكبير الذي يصبّ على خمسة اميال من اللاذقيّة . وفي الشتاء تزخر مياههُ وتطفو ووبّما ذهب بالمواشي والنفوس

فنزلنا الى معاطف ذلك الوادي الوعر المنحدر وقطعنا مضايقهُ ثمّ تسنّمنا ذروتهُ

المحاذية ولا يُصعد اليها الّا بمشقّة في شِعْب صعب المرتقى يشرف على بطن الوادي. وقنّة هذا الجبل تبلغ نحو ١٥٠ متر ادركناها بعد ثلث الساعة

وكان جمهور الزوّار الذين وفدوا من القرى المجاورة ينتظرون قدوم حضرة رئيس مدرستنا ليحسنوا استقباله. فلمّا رأوهُ نافذًا من ثنيّة الجبل اسرعوا الى بندقيّاتهم فاطلقوها مترحّبين بهِ وكان يُسمع لطلقاتها ولهتاف المتهلّلين دويٌّ عظيم يتردّد صداهُ في بطون النجاج. وهرع للسلام عليهِ حضرة رئيس رسالتنا العامّ مع بعض الاباء وعدد من الكهنة الافاضل واعيان تلك الانحاء الذين كانوا سبقوا فاجتمعوا للحفلة الموعودة

وكانت الشمس وقتئذٍ قد جنحت الى الغروب وهي ترسل على تلك الهضاب النّضرة آخر سهام اشعّتها النارية فتكسوها بهاء وجلالًا. وممّا كان يزيد هذا المنظر رونقًا وحسنًا أفواج الوافدين للعيد وهم لابسون افخر ثيابهم. وكانت تلوح على وجوه الجميع لوائح الفرح التي تكنُّها صدورهم لقدوم يوم بهيج لم يكن منذ سنين قليلة ليدور على خلدهم ان سيشاهدون مثلهُ. فتقدّموا كلهم للثم ايدي حضرة الاب الرئيس الذي كان يُسمعهم ارقّ عبارات اللطف والايناس مثنيًا على تقواهم وخلوص مودّتهم

ثم دخلنا العيد الجديد لتزورهُ فاذا بهِ تحفة نفيسة شادها الحبّ البنوي لمليكة السماء. وتعبّر عن شكر الاهلين ان كانت لهم مدّة قرون متوالية عضدًا في بلاياهم وشفاء في ارجاعهم وتعزيةً في احزانهم. وتكسير هذه الكنيسة الجديدة ٢١ مترًا طولًا في ثمانية عرضًا وارضها مفروشة بالرخام تمثّل اشكالًا هندسيّة وجدرانها منمّقة بنقوش جميلة وتصاوير محكمة الاتقان امّا نوافذها فهي من الزجاج الملوّن تُرى فيهِ صور اسرار حياة البتول العذراء

وبعد برهةٍ من الراحة وتناول اكل المساء دعا الوفودُ من الاهلين حضرات الاباء والكهنة فشكروا اجلالًا لهم شيئًا من عادات بلاد عكّار كألعاب السيف والترس والرقص والتزمير وكانوا يظهرون في كلّ ذلك حذاقة غريبة فسُرَّ الحضور غاية السرور وشكروهم للطفهم

وكان الليل في اثناء ذلك أرخى رواقهُ فأُوقدت مشاعل الافراح ودوى البارود وأُرسلت الاسهم النارية تحترق كبد السماء وتتناثر منها النجوم الملوّنة في الهواء فخيّل انّ الجبل صار شعلة نار ودام ذلك هدءًا من الليل. ثم فُتحت ابواب الكنيسة ليبيت

فيها النساء والصغار. امّا الرجال فانهم قضوا لياتهم على تلك الربوة ينتظرون بزوغ الصبح صباح العيد. وكان عدد الجمهور الوافد مساء العيد اكثر من ١٦٠٠ نسمة قدموا من قرى عكّار وصافيتا والحصن يتقدّمهم كهنتهم وشيوخهم ووجوه اخانهم

*

وما ابلج صباح الاحد الواقع في ٢٩ نيسان وهو موعد العيد حتى خفّت سكّان القرى أفواجاً أفواجاً فكان من ينظر الى تراردهم يظنّ ان القرى صفرت كلها من اهلها. وقد اتى البعض من مسافة ثلاث ساعات وازيد وكانوا جميعهم يأتون وهم ينشدون الاناشيد ويتلون صلاة الورديّة ويحملون الرايات يتقدّمهم رُعاة كنائسهم وكانوا اذ بانوا باب الكنيسة يستقبلهم كاهن بالبخرة والماء المصلاة

وعند الساعة السابعة لبس حضرة الاب رئيس الرسالة غفّارةً وبميّته الاباء والكهنة من طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك وكان السيدان الجليلان المطران اسطفان عوّاد والمطران يوسف الدوماني قد اوفدا من قبلهما كهنةً ليمثّلوهما في هذه الحفلة وكانا دُعيا اليها فلم تسمح لهما الاشغال بتلبية دعاء الرؤساء. ثمّ بُدئ بالرتب الكنسيّة لتدشين المعبد وتليت الصلوات مع الاناشيد المعتادة في مثل هذه الحفلات. ولمّا انتهت هذه الطقوس زُيّنت الكنيسة باشكال الزهور باسرع من لحة العين وأُضيئت مينات الشموع ونُشرت الرايات وفُتحت للجمهور ابواب الكنيسة وكانت من قبل مقفلة فاندفع اليها القوم وغصّت بهم فبقي منون بل ألوف منهم في الخارج يشاهدون الرتب من ابوابها المفتوحة. وكان امام الهيكل لفيف الاكليروس ومشائخ القرى منتصبين وفقه قانتين

ثم ابتدأ حضرة رئيس مدرستنا الكليّة باقامة قداس كبير. وزاد الحفلة رونقاً انّ حضرة الاب استفلاوس الكرملي كان حضر من القيّات بجوق من تلامذته وأتى بارغنٍ حُمل على ظهر جمل فشنّفوا الآذان باصواتهم الشجيّة واطربوا السامعين باناشيدهم الرخيمة

وعند ختام القداس تقدّم شيوخ القرى ماسكين بايديهم الشموع المضيئة وتلوا فعل التكريس جهاراً فقدّموا نفوسهم وجميع الذين تحت امرتهم للسيدة البتول المكرّمة في هذا المكان منذ اجيال عديدة طالبين منها حمايتها في الحياة وفي الممات. وكان لهذا فعل التعبد احسن وقع في النفوس واشتركت به الجموع بتقوى وخشوع. وعقب ذلك

قداسان احتفاليان اقامهما نائبا مطراني طرابلس في الطقس الماروني والطقس اليوناني حضرهما كلُّ من امكنهُ ان يلج الكنيسة

ثمَّ مثَّل فرسان عكَّار لحضرات الآباء لعب الجريد كانوا يتفنَّنون فيهِ على ضروب عجيبة كانهم في ساحة القتال. وكان في جملة الجموع الذين حضروا هذه الحفلات عدد وافر من النصيريين والمسلمين وكانوا قد اعتادوا منذ قديم الزمان ان يأتوا الى هذا المقام لاكرام « ستنا مريم »

ثمَّ لمَّا كان الظهر جلس المدعوون على مائدةٍ فاخرة تبودلت فيها الانخاب فاعرب الاهلون عن تعلُّقهم بالكرسي الرسولي ومرسليهِ الافاضل وابدى رئيس الرسالة املهُ بان يكون المعبد الجديد كروة وثقى ترتبط فيها كلّ القلوب المسيحية تحت حماية البتول الطاهرة

وعقيب هذا اجتمع الجمع ثانيةً في الكنيسة فأُلقيت على مسامعهِ عظةٌ بناها الخطيب على قول النبي اشعيا (٣٥: ٢). « قد أُوتيتْ مجد لبنان » فبيَّن بشواهد عديدة تاريخيَّة انَّ لبنان كما يدلّ عليهِ اسمهُ كان في كلّ زمن جبل المناعة والقوَّة ثمَّ جبل الايمان والدين ثمَّ جبل الطهر والعفاف. ثمَّ تخلَّص الى ذكر العذراء الطاهرة فاثبت انها أُوتيتْ مجد لبنان فنالت اوفر حظٍّ من خصالهِ الثلاث المذكورة وانتهى الى ذكر المعبد الجديد الذي اختارتهُ البتول لتكرِّم فيهِ على عبادها بهذه النعم الثلاث التي نالتها من الرب اعني القوَّة ضدّ اعداء خلاصهم وايمانًا حيًّا لردّ ترغات الكفر وسيرةً طاهرة توَّاهم بالثواب الابدي. وخُتمت هذه الرتبة بمنح بركة القربان الأقدس

ثمَّ عُقدت بعيد ذلك جلسة ادبيَّة بالفرنسيَّة والعربية قام بها نخبةٌ من تلامذة المدرسة التي هنالك وكان مدارها على مناقب سيدة القلعة وتاريخ تعبد الاهلين لها منذ عهد عهيد في هذا المكان. وهذا التأريخ نؤجّلهُ لعدد آخر لما في تفاصيلهِ من الفوائد وسنذكر ايضًا ما يختصّ بالقلعة القديمة التي كانت فوق هذا الجبل والتي لا تزال آثارها ماثلةً الى عهدنا

ولمَّا انتهى هذا العيد المجيد قمنا في صباح يوم الاثنين وقرأنا الوداع على اهل السيدة وعدنا الى بيروت بغاية ما امكن من السرعة فبلغناها في مساء الثلاثاء شاكرين لهُ تعالى على ما اراناهُ من تقى اهل عكار وحسن اخلاقهم وخواص بلادهم